من ذاكرة شكيب عوض الفنية

أحمد قاسم موسيقار سبق عصره

.فنان مظلوم حيا وميتا
.جدد الأغنية اليمنية فهاجموه
. قال عنه الموجي (فنان مليان هدومه)
. أعجب بالأغنية المصرية فقدم لونها في اليمن

عبد الرحمن أحمد عبده

في حديث مع الإعلامي الراحل شكيب عوض كنت قد اجريته معه في الذكرى الحادية عشرة لرحيل الموسيقار أحمد قاسم مساء 2 ابريل 2004م ، طالب بتكريم أسم أحمد قاسم على أعلى مستوى من قبل الدولة وقال في حديث مطول عنه:

" يجب أنصاف هذا الفنان على أعلى مستوى ، لقد ظل الرجل مظلوم الحقوق حياً وميتاً أولا خلال المراحل السابقة وتحميله ما لا طاقة له به على أساس أنه انحرف وخرج عن السائد في الأغنية وثانيا بعد مماته عندما نسوه.."

وأضاف الاعلامي الفني شكيب عوض الذي اتصف بذاكرته الفنية الموسوعية عن الفن اليمني والعربي : " لقد أدرك أحمد قاسم منذ الستينات أين يمكن مستقبل الأغنية اليمنية وأيضاً مستقبله الفني فقد استطاع كسر الطابع اللحني في الأغنية السائدة حينها في مدينة عدن وخرج عن الرتابة فيها ورفض أن تظل الأغنية تخاصم العصر وتبقى أسر التراث وكان يؤكد أن أغنيتنا إذا ظلت بكلاسيكيتها ونمطيتها التقليدية لن تتطور.

إن الموسيقار أحمد قاسم الذي فقدناه في 1993 كان عملاقاً بفنه بمعنى الكلمة ولا أبالغ أن قلت أنه لا يقل مستوى عن ملحني جيله من فناني مصر أمثال محمد الموجي ، كمال الطويل وبليغ حمدي ، ولو توفرت له الفرصة مثلهم واستقر في القاهرة لكن شأنه فنيا شأنهم ، وحقق شهرتهم المدوية عربياً وتصدر مثلهم الساحة العربية بكفاءة واقتدار فهو (فنان مليان هدومه) كما قال عنه محمد الموجي بإعجاب عندما التقاه في القاهرة بحضور عبدالوهاب محمد حين اسمعه رائعته "أنت ولا أحد سواك".

عبقري موسيقي

ويضيف : " احمد قاسم عبقري غير عادي ، انفعالي حد الجنون يثار ويستثار من أجل تقديم الأفضل ، وهو يمتاز بتقديم الأداء التعبيري للأغنية فيترجم نص الأغنية إلى موسيقى حية ويعطي الكلمة والجملة إيقاعها الموسيقي الخاص بها الذي فعلا يكون في موقعه الصحيح .

ويتحدث شكيب عوض بحسرة أكثر فيقول : " بموت أحمد قاسم خسرنا موسيقار والجميع يشهد أنه سبق عصره ، خاصة في عدن عندما قدم الأغنية المصرية والأغنية اليمنية المستفيدة من اللون الغنائي المصري .. وكان يؤمن أنه لا يقل بموهبته عن الفنانين العرب الذي انطلقوا من مصر مثل صباح ونجاح سلام ومحمد بكار وفائزة أحمد ووردة .."

أتهم بالمصرية

ويحكي عن بدايته الفنية قائل : " لقد قدم أحمد قاسم منذ البداية (الأغنية العدنية) التي كسرت الطابع الرتيب لعدد من الألوان الغنائية اليمنية ذات الطابع الرتيب والمكرر فلقي هجوم وقالوا أن أغنيته مصرية .. لكن احمد قاسم أصر واستمر في طريقه . وعندما قدم أول لحن له عام 1957 لأغنية (تهجر وتنساني) لم يصدق أحد أن هذا اللحن لفنان مبتدئ بل فنان صاحب خبرة وعمله ذلك لا يقل مكانه عن أعمال محمد الموجي حينها .. لقد كان عمر أحمد قاسم وقتها 18 سنة فقط .

حتى الفنان فريد الأطرش أعجب بموهبة أحمد قاسم عندما زار مدينة عدن في فبراير 1956 وكان حينها مدرس وهاو فن يغني فقط في الجلسات الخاصة ويردد أغاني فريد الأطرش وكارم محمود وعبدالعزيز محمد وصباح .

وعندما استمع فريد إلى اللون العدني بأصوات الفنانين خليل محمد خليل وسالم بامدهف رحب بالأغنية العدنية التي رأي أنها تستجيب لروح العصر ويمكن أن تجاري الأغنية في مصر ، لكنه عندما استمع إلى الشاب أحمد قاسم شده أكثر من الآخرين لعزفه المتقن على آلة العود واستمع منه إلى أشهر أغانيه حينها (كفاية يا عين) و(اسأل الفجر والغروب) ، دهش فريد من أداء أحمد المتقن والتعبيري للأغنية ولحظتها التفت إلى من حوله ونصح بأن لا يضيعوا هذا الولد الموهوب من أيديهم ونصح بإبتعاثه إلى مصر وتسجيله في المعهد العالي للموسيقى حتى يتأهل فنيا تأهيلا علمياً وبالتالي يكتمل حضوره شكلا ومضمونا ويخدم هذه الأغنية التي ظهرت في عدن .

أحمد قاسم يتعرض للهجوم

يتذكر شكيب الفنان أحمد قاسم وهو الذي التقاه وحاوره كثيراً بل وقف خلفه (كورس) في بعض أغانيه في وقت مبكر : " جاءت الفرصة عام 1958 للمدرس أحمد قاسم لدراسة الموسيقى في القاهرة فأبتعث حينها من دائرة المعارف في مستعمرة عدن .

ومثلت دراسته في القاهرة واقترابه من الأغنية المصرية التي أحبها كثيراً فرصة لتقديم أغانيه التي امتازت حينها بثوبها المصري وفرض بذلك لونا جديدا على الأغنية اليمنية بأسلوب تجديدي وظف فيها معرفته العلمية في الموسيقى وتذوقه الراقي لها ، لكنه تعرض لهجوم قاس من التقليديين في عدن وانتقدته الصحافة حينها .

ومن تلك الأعمال أغنية (الكوكب الساري) ولحنها قريباً من اللون المصري وأغنية (كم أحبك) وكانت ذا لحن رائع قريب من روح بليغ حمدي أو قريبة من الموجي في (صافيني مرة) لعبد الحليم حافظ وأغاني أخرى ، سجلها كلها لإذاعة (صوت العرب) .

وعن أيمان أحمد قاسم بالجديد وإصراره على المضي في طريقه رغم الهجوم عليه يقول شكيب عوض : " عمل أحمد قاسم على تأسيس (فرقة أحمد قاسم الموسيقية التجديدية) و فرض على أعضائها ارتداء الملابس العصرية مقتديا بالفرق الموسيقية المصرية وطعم الفرقة بالآلات الموسيقية الحديثة ، وهكذا ظهرت أغانيه مميزة عن الفنانين الآخرين في عدن .

أول فنان يمني يشترك في حفلات (أضواء المدينة)

كان أحمد قاسم أول فنان يمني يشترك عدة مرات في حفلات (أضواء المدينة) بالقاهرة أثناء دراسته وإقامته فيها ابتداء من حفلة عام 1958 إلى جانب كبار الفنانين وأثناء عودته إلى عدن في إحدى إجازاته عام 1958 قدم أولى حفلاته الموسيقية التي قدم فيها مقطوعة موسيقية بعنوان (أمينة) واتبع بذلك تقليد بداية الحفل بمقطوعة موسيقية وكان تركيبها يميل إلى اللون الموسيقي الحديث السائد في مصر وأمينة هذه فتاة مصرية التقاها أحمد قاسم في رحلته بالطائرة من القاهرة إلى عدن وأعجب بها فألف باسمها هذه المقطوعة .

وليثبت احمد قاسم لجمهور الغناء في اليمن قدرته على الغناء بلونه اليمني الأصيل وليثبت أن اللون الذي قدمه في البداية لم يكن ناتج عن ضعف في الموهبة أو عدم الإحساس أو هروب ، بل عن بعد نظر وموهبة ، تعلم من الدرس الذي استخلصه من هجوم التقليدين عليه فقدم عدة ألحان شعبية مستمدة من الأهازيج اليمنية وهو في مصر كأغاني (هربو جا الليل) و (يا ليت عدن مسير يوم) للشاعر احمد الجابري وأغنية (يا حلو ياخضر اللون) للشاعر عبده عثمان وأغاني (من العدين ياالله) و(يا طالعين الجبل) و(يا غارة الله) و(حقول البن) للشاعر سعيد الشيباني و(قمري تغني على الأغصان) للشاعر محمد عبده غانم و(في جفونك) و(اسمر وعيونه) للشاعر لطفي جعفر أمان الذي شكل معه ثنائيا رائعا لسنوات حتى مطلع السبعينات .

وحسب شكيب عوض فإن أحمد قاسم ظل يشكو من منتقديه فيتذكر من آخر لقاء أجراه معه في 1988م : " كان يقول أن الأغنية التي تقدم في مصر أغنية عربية تستجيب للعصر " وهذا ما يؤكد أنه كان ينظر للأمام ومؤمن بأن اتجاهه صحيح .

فنان مغامر

يمضي شكيب عوض بالقول : " لقد أدمن موسيقارنا الرائع (المغامرة) وبفعل ذلك نفذ خبطات فنية كبيرة علت من شأنه وشأن بلده ، ودخل مجال الإنتاج السينمائي فقدم فيلم (حبي في القاهرة) عام 1966 مع عمالقة التمثيل المصري وأقام حفلات ساهرة في عدن -64 1965 أحياها بصحبة نخبة من الفنانين المصريين الذين استقدمهم على نفقته الخاصة ومنهم ماهر العطار ومحمود شكوكو وشفيق جلال وثريا حلمي والراقصة طقطوقة وكانت حفلات لا تنسى من الذاكرة أبداً" .

ويضيف "كان كبيرا في فنه وفي طموحه وفي مبادراته أو كما يحلو لي أن أطلق عليها (مغامراته) لأنه نجح في تحقيق مقاصده الفنية النبيلة بصورة مبهرة ولكنه لم يحقق أرباحا مادية منها ."

هامش

× المحرر الفني في مكتب صحيفة الخليج بصنعاء

(الموسيقار) أحمد بن أحمد قاسم/ الفكر الموسيقي والأخيلة الواسعة

الموسيقار الراحل أحمد بن أحمد قاسم غنى للوطن و (لحبه وطنه) وقدم للحب أعظم وأجمل الأغنيات ملامسا ومداعبا بها المشاعر.. مشاعر العشاق (في الليل أغني لك) و (أصحاب القلوب الغليظة) حتى تلين وحتى لا يختفي الحب كان ومازال صوتا يمنيا فريدا وجد في زمن كان فيه عمالقة الفن والطرب الأصيل وصاحب مشوار غنائي طويل أرتبط به كارتباطه بالكثير من الشعراء والأدباء والفنانين.. حتى ساعة رحيله عنا وليظهر بعده جيل آخر وربما (ظهر الأخير) في زمن عشوائي فيه نكهة التعصب أو التحجر.. إذا ما هو الدرس الذي استفدناه من رحيل هذا المبدع العبقري؟ سوى أنه لو سمع أو قرأ نصف ما قيل عنه.. بعد أن صار في ذمة الله، فكيف سيكون حاله وأنه لمن المؤسف والمؤلم أن نعرف الكثير عن حياة مبدعينا ولا نعدل في تصنيفهم.. إلا إذا كان حديثا مؤلما نسلي به أنفسنا لنكتشف فيما بعد أنه كان نارا في قلوبهم ولا نعترف بذلك حتى يومنا هذا.. والراحل أحمد قاسم من المبدعين القلائل الذين أبدعوا في ربط الكلمة بالنغم لكي يكون لدى المستمع أكثر (تقبلا) أو (قابليه) لها مما يجعله (الأخير) في حالة انفعال طربي، وقد حظي باحترام وتقدير فنانين كبار في الوطن العربي أمثال الراحل / فريد الأطرش/ رياض السنباطي/ والسيدة فاطمة عثمان (كوكب الشرق أم كلثوم) وغيرهم من أولئك الذين رحلوا قبل رحيله عنا، فتعالوا لنسمع شيئا عن إحدى أغنياته العاطفية (يا حمام الشوق) فنجده يضع هذه العبارة (أنته فينك) في مقام موسيقي يطبق عليه (راست على الفا) أما العبارة الأخرى (والحبايب فين) وضعها في مقام آخر (بيات نوى) ويتلاعب بأنامله قليلا إلى (مقام الهزام) (اللي شفته في بعادك) الخ.. وهنا تكمن عظمة الفكر الموسيقي الذي امتلكه أحمد قاسم إضافة إلى امتلاكه خفة الدم والروح التي سخرها لعالمه الموسيقي الجميل، كما كانت له القدرة على التمثيل وقد حقق نجاحا في فيلمه الوحيد.. (حبي في القاهرة) وبرع فيه لما يتمتع به من أخيلة واسعة وحس فني مرهف..

لكن هناك من اتخذ الشائعات وسيلة لإسقاط هذه الإبداعات وروج لها وكالذي يحكم على أشياء لا يعي تفاصيلها أو ربما لم يعيشها ولم يقرأ عنها، والذين يسخرون من فن هذا العبقري أنما يعزفون نغما على وتر نشاز يتردد في أذهانهم ليس لهذا الوتر وجود في فكر وفن وخيال (أحمد قاسم رحمه الله) وابنا فرقته الموسيقية التجديدية.. وها هو (أبو أحمد) أو (أبو حمادة) يقدم للشاعر/ عبدالله عبد الكريم عام 1987م (بلدنا الغالية مبروك) ومن مقام موسيقي شرقي (بيات دوكاه) والأخيرة تعني بيات على الدرجة الثانية (للسلم الموسيقي) ولكن هي في الأساس الدرجة الأولى (Toneka) (التونكة) في مقام (البيات الدوكاه) وفي عرف الموسيقي المتلقف يطلق عليها (بيات على الثرى)، كما أن إيقاع هذه الأنشودة كان اختيارا دقيقا سماعي ثقيل ثم ينتقل إلى إيقاع ذلك الإيقاع الشرحي السريع ولكن من مقام حجاز على درجة (الصول) (Sol) ونغمة (صول) هي الدرجة الرابعة في مقام (بيات على الدوكاه) وقد استخدم أحمد قاسم في أغانيه العدنية الإيقاعات الخفيفة.. مثلا.. أخذ إيقاع (الدوك) في أغنية (الكوكب الساري) (مقام حجاز على الدوكاه) وجعل إيقاعها بطيئا ولم يسرع فيها ولو كان سريعا خرجت عن مضمونها وأصبحت راقصة (تمشيا مع الكلمة) وهذا دليل على وصفه هذه الكلمات التأملية بإيقاع راقص روضه وجعله بطيئا (خلافا) لمحمد عبد الوهاب الذي استخدم هذا الإيقاع سريعا راقصا.. (والمسألة إبداعية)..

وهكذا أجد نفسي أمام بانوراما من حياة مبدع قدم الكثير لوطنه معبرا عن حياتهم وآلامهم، ولقد كانت العلاقات والتشكيلات الثنائية بين الشعراء والفنانين العامل الأساسي لإبراز الكثير من الروائع الأدبية والإنسانية.. فكان الشاعر/ لطفي جعفر أمان يتجلى في إحدى ملاحمه الشعرية الوطنية أوبريت (في موكب الثورة) الذي صار أحمد بن أحمد قاسم (لحنا) يغنى بصوته العذب الرقيق (يا مزهري الحزين.. من يرعش الحنين.. إلى ملاعب.. الخ) أول تجربة فنية نادرة وملحمة وطنية رائعة فيها تتعانق القلوب بذبذبات موسيقية منسجمة ببعضها.. لتحثنا على فعل أمر ما ومن مقام موسيقى غربي.. ثم نراه ونسمعه يغني للطفل.. ويلحن له ويلعب معه ومع الراحل/ أحمد شريف الرفاعي رحمه الله في (تفاحة) أجمل وأعظم الألحان التعبيرية النابعة من عطفه وحنانه.. ذلك هو الراحل أحمد قاسم (رحمه الله) الذي لا يعرف السؤال ولكن تأتي الإجابة عفوية صادقة منه قبل أن نسأله.

وأخيراً وليس بآخر.. إن الراحل/ أحمد قاسم.. كما أحب الناس وقدم لهم.. لا يريد اليوم يدا تصفق له ولكن يريد يدا تحنوا عليه.. وعلى أسرته التي تركها في لحظات مؤسفة..

أحمد درعان

سقطرى.. جزيرة الأحلام

تقع جزيرة سقطرى اليمنية على البحر العربي، تتميز بتضاريسها المتناسقة بين سهول ساحلية وهضاب وسلاسل جبلية وأودية، وتحتل المرتبة العاشرة بين الجزر وتسمى (جزيرة الأحلام) وتعد إحدى الحدائق الطبيعية النباتية في العالم ومتحف التاريخ الطبيعي وموطن البخور والمر ودم الأخوين.

من بداية الألف الأولى قبل الميلاد كانت الجزيرة أحد المراكز الهامة لإنتاج السلع المقدسة وهذا هو سر شهرتها وأهميتها كموطن لإنتاج تلك السلع التي كانت تستخدم في الطقوس التعبدية في ديانات العالم القديم، وأعتقد أن الأرض التي تنتج السلع المقدسة أرض مباركة واستمرت أخبارها تنتشر عبر العصور، وفيها جداول من المياه العذبة تنساب عبر قواطع جبلية متصلة بالبحر وخلجانه ولها مميزات طبيعية وأعطتها أهمية بين جزر العالم.

جاذبية سقطرى

سقطرى جزيرة مغرية وساحرة فمن يذهب إليها يجد نفسه وكأنه في عالم آخر يملؤه السحر والجمال فالجزيرة تمتلك شواطئ تمتد (3000 ميل) تتمتع بخصائص فريدة من حيث كثبانها الرملية البيضاء النقية التي تبدو للزائرين كأنها محاصيل القطن ومعظمها مظللة بأشجار النخيل التي تطل على مياه البحر الخالي، وجميعها للاستجمام السياحة، كما تحوي مياه الشواطئ أحياء مائية عديدة ونادرة مثل السلاحف واللؤلؤ وأسماك الزينة والشعاب المرجانية وتبلغ مساحتها (135) كلم2 وتصل الأنواع النباتية فيها إلى (750) نوعا منها (270) من النباتات النادرة يستفاد منها لعلاج كثير من الأمراض، وهي غنية بالمحاصيل الغذائية والطبيعية ولها شهرة عالمية كشجرة دم الأخوين والصبر واللبان وغيرها.

مسكن للطيور

اشتهرت جزيرة سقطرى بمساكن واسعة للطيور تصل إلى أكثر من (105) أنواع، ترافق الزائرين أين ما يذهبون وبالذات في أشهر الصيف تتواجد فيها أنواع غريبة وعجيبة من الطيور ويتفاجأ كل من يزورها برؤية المغارات والكهوف التي تنتشر في العديد من مواقع الجزيرة وتعتبر أحد أنماط العيش للإنسان السقطري وعندما يخيم الليل تسمع الأصوات والأنغام السقطرية الشجية التي تصدر من داخل تلك المغارات والكهوف وأكبر مغارة فيها مغارة (دي جب) ويمكن للإنسان أن يصل إليها مشيا على الأقدام أو على السيارة دون تعب.

إعجاب الأجانب بسقطرى

نالت جزيرة سقطرى إعجاب الأجانب الذين عشقوها من قديم الزمن فالبريطانيون هم أول من زاروا جزيرة سقطرى وقاموا بجمع أنواع كثيرة من نباتاتها وزارها الباحث بلفور الذي جمع أكثر من (500) نوع من النباتات تلاه عالم النباتات الألماني الذي اندهش من نباتات سقطرى وأخذ أعداداً كبيرة منها أثناء عودته إلى ألمانيا.

اهتمام المنظمات

اهتمت المنظمات الدولية والمراكز والهيئات والأكاديميات العالمية بجزيرة سقطرى ففي عام 1992م قررت منظمة الأمم المتحدة في مؤتمر البيئة والتنمية في البرازيل اعتبارها تراثا إنسانيا بيئيا عالميا وفي عام 1996م تم الإعلان عن اختيارها محمية طبيعية وفي (2003م) أعلنت منظمة اليونيسكو عن تسجيل أرخبيل سقطرى محمية طبيعية ضمن الشبكة الدولية لمحميات الطبيعية البالغة (440) محمية في 97 دولة، كما حظيت سقطرى باهتمام برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والمرافق العالمي للبيئة وقامت العديد من الفرق والبعثات العلمية الدولية بإجراء دراسات ميدانية عن سقطرى وطبيعتها وصل عددها إلى أكثر من (25) بحثا أجنبيا.

مشكلة تهريب الأطفال في فيلم كرتوني

((عودة أحمد)) عنوان لحكاية طفل يمني تم تهريبه إلى الأراضي السعودية بعد أن سلمه والده إلى تاجر يقوم بتهريب الأطفال إلى السعودية، وذلك تحت ضغط الفقر.

وحكاية الطفل أحمد تعرض في فيلم كرتوني يتناول مشكلة تهريب الأطفال إلى خارج اليمن عبر حدود الدولتين السعودية واليمن، مدته عشرين دقيقة، وسيدشن في منتصف شهر إبريل الحالي في حفل يقام في فندق موفنبيك في صنعاء..

كتب أحداث ووقائع فيلم ((عودة أحمد)) الكاتب والصحفي المعروف عبد الرحمن عبد الخالق، ورسم شخوصها الغنائية الشابة وفاء الأشول بتكليف من مؤسسة شوذب للطفولة والتنمية اليمنية وبدعم من منظمة الطفولة التابعة للأمم المتحدة (اليونيسيف)، حيث بلغت تكلفة إنتاجه ثلاثين ألف دولار (30 ألف دولار).

ويهدف الفيلم إلى حماية الأطفال وتوفير حياة آمنة لهم ومن ذلك التوعية بمخاطر مشكلة تهريب الأطفال.

ويعرض الفيلم طبيعة المعاناة والظروف القاسية التي يلاقيها الطفل أحمد ورفاقه أثناء تهريبهم إلا أن ما يواجهون من معاناة أثناء التهريب تدفعهم إلى الهرب والعودة إلى الديار.

تولت شركة أخناتون المصرية مهمة المنتجة الآلية للفيلم، ويشارك فيه صوتيا عدد من الأطفال إلى جانب الممثل اليمني نبيل حزام.

يشار إلى أن السلطات اليمنية والسعودية كثفت أخيرا جهودها للحد من ظاهرة تهريب الأطفال، كما تم رفع مستوى التعاون بينهما في هذا الجانب، ومن ذلك إعلان البلدين عزمهما على تنفيذ دراسة مشتركة عن مشكلة تهريب الأطفال.

هذا وقد ارتفعت محاولات تهريب الأطفال اليمنيين إلى السعودية منذ مطلع شباط (فبراير) من العام الجاري. وأكدت أجهزة الأمن اليمنية في منطقة حرض الحدودية أنها أحبطت خلال شهر ونصف تهريب (103) أطفال في عدد من المحاولات التي حاول تنفيذها أشخاص بينهم نساء.

وتفيد مصادر يمنية في وزارة حقوق الإنسان أن الأطفال الذين تسلمتهم السلطات اليمنية من السلطات السعودية بلغوا (697) طفلا يمنيا خلال العام الماضي دخلوا إلى الأراضي السعودية بطريقة غير مشروعة.

إعداد : نادرة عبد القدوس

من الشعر الغنائي

زمن قد فات

كلمات : عدنان الأعجم

على كيفك تجيني الآن ... تذكرني زمن قد فات
ترجعني إلى أحزان ... نسيها القلب له فترات
تقول إنك عليّ غلطان ... بحسرة تعتذر مرات
وذا ما كان في الحسبان ... هذا الوقت تجي بالذات
تظن الوقت ذا قد حان ... يعود الود في ساعات
أنا عايش على النسيان ... مستأنس مع الآهات
صعب يرجع زمن قدكان ... ولليالي الأنس في حقات
وماشي عاد بالإمكان ... نكرر عادنا الغلطات
فقط يكون في الأذهان ... هوانا كمان من نظرات
نفارق بعض بالإحسان ... ونذكر أجمل اللحظات